

# فِيصَلَّ النَّصْرَةَ

بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزُّنْدَقَةِ

لِلْإِمَامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ  
أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٣٦٢٧٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر  
الطبعة الأولى  
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٢٢٢٧٧  
ص ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

٢٠٠٢/١٣٦٤٠	رقم الإيداع
977 - 341 - 106 - 0	I.S.B.N الترقيم الدولي

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي  
رحمة الله عليه:

أحمد الله تعالى استسلاماً لعزته، واستتماماً لنعمته، واستغناماً لتوفيقه  
ومعونته وطاعته، واستعصاماً من خذلانه ومعصيته، واستدراكاً لسوابغ نعمته.  
وأصلى على محمد عبده ورسوله وخير خليقته، انقياداً لنبوته،  
واستجلاباً لشفاعته، وقضاءً لحق رسالته، واعتصاماً بيمين سريرته ونفيته،  
وعلى آله واصحابه وعترته، اما بعد:

فانى رأيتك ايها الاخ المشفق والصديق المتعصب موغر الصدر، منقسم  
الفكر، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا  
المصنفة في اسرار معاملات الدين، وزعمهم ان فيها ما يخالف مذهب  
الاصحاب المتقدمين، والمشايخ المتكلمين، وان العدول عن مذهب  
الاشعري<sup>(١)</sup> ولو في قيد شبر كفر، ومبايئته ولو في شيء نزر ضلالاً وخسر،

(١) هو ابو الحسن الاشعري البصرى، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، امام المتكلمين  
وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين والساعى فى حفظ عقائد المسلمين،  
سعيًا يبقى اثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، امام الخير وتقى، حمى جناب  
الشرع من الحديث المفتري وقام فى نصرة ملة الاسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا.  
بهمة فى الشريا اثر اخصصها

وعزبة ليس من عاداتها السأم

إليه تنسب الطائفة الاشعرية، وشهرته تغنى عن الاطالة فى تعريفه، والقاضى ابو بكر  
الباقلانى ناصر مذهبه ومؤيد اعتقاده، كان مولد ابى الحسن بالبصرة سنة ستين =

فهوّن ايها الأخ المشفق المتعصب على نفسك، لا تضيق به صدرك، وفُلِّ من غربك قليلاً، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً، واستحقر

= وماتين، وقيل سبعين ومائتين اخذ علم الكلام أولاً عن أبي على الجبائي، احد ائمة الاعتزال، وتبعه في الاعتزال، ويقال اقام على الاعتزال اربعين سنة حتى صار للمعتزلة اماماً، فلما اراده الله لنصر دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس انما تغيبت عنكم هذه المدة لاني نظرت فتعارضت عندي الادلة، ولم يترجع عندي شيء، على شيء فاستهديت الله تعالى فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتيبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وتخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب اهل السنة إلى الناس، وكان شافعي المذهب، تفقه على أبي اسحاق المروري، نص على ذلك الاستاذ ابو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين، والاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني فيما نقل عنه الشيخ ابو محمد الجويني في شرح الرسالة، وكانت وفاته بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة، والاقرب انها سنة اربع وعشرين، وهو ما صححه ابن عساكر، ويقال: سنة نيف وثلاثين، وقيل سنة ثلاثين فجأة، حكاه ابن الهمداني في ذيل تاريخ الطبري ببغداد، ودفن بين الكرخ وباب البصرة، رحمه الله.

وله من الكتب كتاب اللمع، وكتاب المؤجر، وكتاب ايضاح البرهان، وكتاب التبيين عن اصول الدين، وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل، وكتب اخرى في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرفضة والجهمية والخوارج، وسائر اصناف المبتدعين.

ودفن في مشرع الزوايا في تربة الى جانبها مسجد، وبالقرب منه حمام، وهو عن يسار المار من السوق إلى دجلة.

والأشعري بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة بعدها راء، هذه النسبة إلى أشعر، واسمه نبت بن ادد بن زيد بن يشجب، وانما قيل له اشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه، هكذا قاله السمعاني. اهـ. باختصار طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بالسبكي وابن خلكان.

من لا يُحسد ولا يُقذف، واستصغر من بالكفر او الضلال لا يُعرف، فأى داع اكمل واعقل من سيد المرسلين، ﷺ، وقد قالوا انه مجنون من المجانين، وأى كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين، وقد قالوا انه اساطير الاولين، واياك ان تشتغل بخصامهم، وتطمع فى افحامهم، فطمع فى غير مطمع، وتصوت فى غير مسمع، أما سمعت ما قيل:

كلُّ العداوةِ قد تُرجى سلامتها

الا عداوةٌ من عاداك عن حسد

ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس، لما تلى على اجلهم رتبة آيات اليأس، أو ما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

واعلم ان حقيقة الكفر والايمان وحدهما، والحق والضلال وسرهما، لا ينجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما، بل انما ينكشف دون ذلك لقلوب طهرت عن وسخ اوضار الدنيا، اولا ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيًا، ثم نورت بالذكر الصافى ثالثًا، ثم عذبت بالفكر الصائب

رابعاً ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامساً، حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة، وصارت كأنها مرآة مجلوة، وصار مصباح الايمان فى زجاجة قلبه مشرق الانوار، يكاد زيتته يضىء ولو لم تمسه نار، وأنى تتجلى اسرار الملكوت لقوم إلهم هواهم، ومعبودهم سلاطينهم، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم، وشريعتهم رعونتهم، وارادتهم جاهم وشهواتهم، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم، وذكرهم وساوسهم، وكنزهم سواسهم، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم، فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان، أبالهام إلهي، ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها، ام بكمال علمي، وانما بضاعتهم فى العالم مسألة النجاسة وماء الزعفران وامثالهما؟ هيهات هيهات هذا المطلب انفس واعز من ان يدرك بالمنى، او ينال بالهويانا، فاشتغل انت بشأنك، ولا تضيع فيهم بقية زمانك ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿.

## فصل

فأما أنت ان اردت ان تنتزع هذه الحسكة من صدرك، وصادر من هو في حالك، ممن لا تحركه غواية الحسود، ولا تقسيده عماية التقليد، بل تعطشه إلى الاستبصار لحزاة اشكال اثارها فكر وهيجهما نظر، فخاطب نفسك وطالبه بحد الكفر.

فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري او مذهب المعتزلي (١)

(١) هو ابو حذيفة واصل بن عطاء، امام المعتزلة المعروف بالغزال، مولى بنى ضبة، وقيل مولى بنى مخدوم، والمعتزلي والمعتزلة نسبة إليه، كان أحد الائمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وسبب تسميته واياهم بالاعتزال هو ما ذكره السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة المعتزلي قال: ان واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله عنه، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر، وقالت الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر، خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر، منزلة بين منزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه، وجلس إليه عمرو بن عبيد المتكلم المشهور فقبل لهما ولاتباعهما معتزلون، وقيل دخل قتادة الاكهم مسجد البصرة فاذا بعمر بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم فامهم، وهو يظن انها حلقة الحسن، فلما صار معهم عرفها انها ليست هي فقال انما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمذ يومئذ سمو المعتزلة.

ولواصل من التصانيف كتاب اصناف المرجئة، وكتاب في التوبة، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب خطبته التي اخرج منها الرءاء، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الخطيب في التوحيد والعدل، وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب طبقات اهل العلم والجهل، وغير ذلك، واخباره كثيرة.

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلوات الله عليه وسلم، وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة. اهـ. باختصار. خلكان.

أو مذهب الحنبلي<sup>(١)</sup> أو غيرهم فاعلم انه غرٌ بليد، قد قيده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيع باصلاحه الزمان، وناهيك حجة في افحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه، اذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً. ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعري، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي، فاسأله من اين ثبت له ان كون الحق وفقاً عليه حتى قضى بكفر الباقلاني<sup>(٢)</sup>

(١) نسبة إلى امام المذهب، وهو الامام ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال، وينتهي نسبه لمعد بن عدنان، الشيباني المروزي الاصل، خرجت امه من مرو وهي حامل به فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة اربع وستين ومائة، وقيل: انه ولد بمرو وحمل الى بغداد وهو رضيع، وكان امام المحدثين.

صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: انه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الامام الشافعي وخواصه رضي الله عنه، ولم يزل مصاحبه إلى ان ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن حنبل.

ودعى الى القول بخلق القرآن فلم يُجب، فضرب وحُبس وهو مُصرٌّ على الامتناع، وكان ضربه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين.

اخذ عنه الحديث جماعة من الامثال، منهم: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع.

توفي ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة احدى واربعين ومائتين ببغداد، ودفن بمقبرة باب حرب، وقبره بها يزار، وحضر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانماية ألف، ومن النساء ستين ألفاً، رحمه الله تعالى. اهـ.  
باختصار. خلكان.

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني، البصري المتكلم، كان على مذهب الشيخ ابي الحسن الأشعري ومؤيداً اعتقاده وناصراً لطريقته، سكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره =

اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى ورعم انه ليس هو وصفاً لله تعالى رائداً على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلان، ولم صار الحق وقفاً على احدهما دون الثاني؟ أكان ذلك لاجل سبق في الزمان؟.

فقد سبق الاشعري غيرُه من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه! ام لاجل التفاوت في الفضل والعلم؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا افضل في الوجود من متبوعه ومقلده؟ فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على غيره؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي (١)

= وكان في علمه اوحد زمانه، وانتهدت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة.

توفي، رحمه الله، آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاثين واربعمائة ببغداد، وراثه بعض شعراء عصره بقوله:

انظر إلى جبل تمشى الرجال به

وانظر إلى القبر بما يحوى من الصلف

وانظر إلى صار الاسلام مغتمداً

وانظر إلى درة الاسلام في الصدف

وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرج المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب.

والباقلاني نسبة إلى الباقلی. اهـ. باختصار. خلكان.

(١) هو ابو على الحسين بن على بن يزيد الكرابيسي البغدادي، صاحب الامام الشافعي (رحمه الله) واشهرهم بانتياب مجلسه، واحفظهم لمذهبه، وله تصانيف كثيرة في اصول الفقه وفروعه، وكان متكلماً عارفاً بالحديث، وصنف أيضاً في الجرح والتعديل وغيره، وأخذ عنه الفقه خلق كثير.

والقلانسي<sup>(١)</sup> وغيرهم؟ ما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟ وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع إلى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً انهما جميعاً متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع إلى الذات أو السى وصف زائد عليه، خلاف قريب لا يوجب التشديد، فما باله يشدد القول على المعتزلى في نفيه الصفات وهو معترف

= توفي سنة خمسة، وقيل: ثمان وأربعين ومائتين، وهو شبه بالصواب.

والكراليسى نسبة إلى الكرايس، وهى الثياب الغليظة، واحدها كرايس، بكر الكاف، وهو لفظ فارسى عرّب، وكان يبيعها فنسب اليها. اهـ. باختصار. خلكان.

(١) هو ابو العباس، قال العلامة السجستاني في الملل والنحل: اما السلف الذين لم يتعرضوا لتأويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم مالك بن أنس واحمد بن حنبل وسفيان وداود الأصفهاني ومن تابعهم، حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي وابي العباس القلانسي، والحرث ابن سد المحاسبي، وهؤلاء كانوا من جملة السلف الا انهم باشروا علم الكلام وابدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية، وقال العلامة حسن صديق خان في كتابه خبئة الاكوان عند قوله على علماء الكلام ما نصه:

ومما يناضل المعتزلة في قدم الكلام على قول ظاهر عبد الله بن سعيد الكلابي وابو العباس القلانسي والحرث المحاسبي وكانوا اشبههم اتفاقاً وامتنهم كلاماً.

وقد راجعت طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى للسبكي وطبقات الحزامى وطبقات الحنفية وتاج التراجم وطبقات المالكية لابن فرحون واللباب فى الانساب لابن الاثير ولب اللباب للسيوطى ومعجم البلدان لياقوت الحموى والمسالك لابن خرداذبه ولسان العرب والقاموس وشرحه وكثير من التواريخ فلم اقف على ترجمته، وذكر ابن الفلاح صاحب شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ترجمة ابن بندار القلانسي مقرئ العراق، المتوفى سنة احدى وعشرين وخمسائة، وأيضاً ترجمة العميد ابن القلانسي صاحب تاريخ دمشق. انتهى به إلى سنة خمس وخمسين وخمسائة، وتوفى بها فى ربيع الاول عن بضع وثمانين سنة، وذكر فى تاج العروس ترجمة القلانسي المحدث والقلانسي الفقيه، وكلاهما من المتأخرين، والجميع لم يعرفوا بعلم الكلام مع تأخرهم عن الامام الغزالي. اهـ.

بان الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات، وانما يخالف الاشعري في انه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة، فما الفرق بين الخلافين وأى مطلب اجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها وإثباتها.

فان قال انما اكفر المعتزلى لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة استحيل ان توصف بالاتحاد او تقوم مقامها الذات الواحدة، فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى، ومع كونه واحد هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو امر ونهى وخبر واستخبار، وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك إلى الامر والنهى فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق إليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والايجاب على شيء واحد فان تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من اهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج، ولو كان اهلاً له كان مستتبعا لا تابعا واماماً لا مأموماً فإن خاض المقلد في المحااجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟ ولعلك إن انصفت علمت ان من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض اقرب.

اما الكفر فلأنه نزل من منزلة النبي المعصوم من الزلل، الذي لا يثبت

الايمان الا بموافقتة ولا يلزم الكفر الا بمخالفته واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في نظرك الا ما رأيت وكل ما رأيت حجة، وأى فرق بين من يقول قلّدى فى مجرد مذهبى وبين من يقول قلّدى فى مذهبى ودليلى جميعاً؟ وهل هذا الا التناقض.

## فصل

لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تتناقض عليك حدود اصناف المقلدين، فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكنى اعطيك علامة صحيحة فطردها وتعكسها لتخذها مطمح نظرك وترعوى بسببها عن تكفير الفرق وتطوير اللسان، فى اهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، صادقين بها غير مناقضين لها فأقول:

الكفر: هو تكذيب الرسول ﷺ فى شىء مما جاء به، والايان: تصديقه فى جميع ما جاء به، فاليهودى والنصرانى<sup>(١)</sup> كافران لتكذيبهما

(١) نسبة إلى اليهود والنصارى وهما امتان من كبار امم أهل الكتاب، والامة اليهودية اكبر سابقاً، لان الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بنى اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة، والانجيل النازل على المسيح عليه السلام لم يختص باحكام ولا يستنبط منه حلال وحرام، ولكنه رموز وامثال ومواعظ ومزاجر، وما سواها فى الشرائع والاحكام فمحالة على التوراة، فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى، عليه السلام، وادعوا عليه انه كان مأموراً بمتابعة موسى وموافقة التوراة فغير وبدل، وعدوا عليه تلك التغيرات منها تغير السبت الى الاحد، ومنها تغيير اكل الخنزير، وكان حراماً فى التوراة، ومنها الختان والغسل وغير ذلك، والمسلمون قد بينوا ان الامتين قد بدلوا وحرفوا والا فعيسى كان مقررًا لما جاء به موسى عليه السلام، وكلاهما مبشران بمقدم نبينا نبي الرحمة، صلوات الله عليهم اجمعين، وقد امرهم ائمتهم وانبياءهم وكتابهم بذلك، وانما بنى اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول آخر الزمان فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام إلى تلك القلاع والبقاع، حتى اذا ظهر وعلن الحق بعد ان هاجروا إلى يثرب هجروه وتركوا نصرته، وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ

للمرسول، ﷺ والبرهمي كافر بالطريق الأولى<sup>(١)</sup>، لأنه انكر مع رسولنا

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿﴾ وانما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع الا بحكمة، اذ كانت اليهود تقول ليست النصارى على شيء وكانت النصارى تقول ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب، وكان النبي ﷺ يقول: «لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» وما كان يمكنهم اقامتها الا باقامة القرآن وتحكيم نبي الرحمة رسول آخر الزمان، فلما ابوا ذلك ضُرب عليه الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله.

واظهر فرق اليهود خمسة: العنانية والعيسوية واليوزعانية والموشكانية والسامرة، وتحتها فرق، فهذه الفرق هي اكبر فرق اليهود.

واما النصارى فكبار فرقهم ثلاثة: الملكائية والنسطورية واليعقوبية، وانشعبت منها الايانية والبيارسية والسبالية والبوطينوسية والبولية... إلى سائر الفرق. اهـ. اختصار. شهرستاني.

(١) نسبة إلى برهم، وهو المعبود الأول عند الهنود، وهو أصل كل الموجودات، واحد غير متغير وغير مدرك، ازلى مطلق، سابق كل مخلوق، خلق العالم كله بمجرد ما أراد دفعة واحدة بقوله «أوم» أى كن، وعلى ذلك لا يكون برهم الا تشخيصاً لكل القوى الباطنة والظاهرة للطبيعة، أى عبارة عن هذه القوى الطبيعية مجتمعة فى فرد مستمر رمزاً طويلاً على حالة واحدة، وكثيراً ما يجعلون نفس برهم اسماً للاقائيم الثلاثة المؤلف منها ثالث الهنود، وهى: برهما ووشنو وسيوا، ويقال لبرهم سوايميو، أى القائم بذاته، وسرفان اكياران، أى الازل، وبرامندا أى بيضة برهما، وبراجباتى، أى ابا المخلوقات، واهام أى انا هو، واهنكارا أى قدرتى انا، وقتش أى الكلمة.

ولفظة برهم فارسية مركبة من براى ارتفاع، وماه أى عظيم، أو ميه أى النشر، أو البسط، كناية عن القبة المقعرة السماوية التى لا تتغير شكلاً ولا وضعاً والنجوم الزاهرة تحتها، ومن برهم تولد النور المسمى عندهم مارتشى الذى اتحد مع فاسيابا، أى الخلاء، فولدا كل الكائنات.

فالثالث ادا ليس الا عبارة عن المخلوقات المادية فى ثلاث رتب: رتبة علياء ورتبته وسطى ورتبة سفلى.

ويقال لعبدة برهم: البرهميون والبراهمة وبرهما نفس برهم، معبود الهنود بعد ان =

= شرع في اعماله وهو الاقنوم الاول من الثالوث الهندي، لان برهم ينيثق من نفسه في ثلاثة اقانيم كل مرة في اقنوم، فالاقنوم الاول الذي يظهر به اول مرة هو برهما، والثاني وشنو، والثالث سيوا، فلما انبثق برهما لبث مدة طويلة جالماً على سدره تسمى بالهندية كمالا، وبالسكريدية بدما، وكان ينظر من كل جهة، وله اربعة رؤوس بشماني اعين، فلم ير الا فضاء واسعاً مظلماً مملوءاً ماء، فارتاع لذلك ولم يقدر ان يدرك سر اصله، فلبث ساكناً ابكم غارقاً في التأملات فمضت على ذلك اجيال، واذا بصوت قد طرق اذنيه بغتة ونبهه من سباته وأشار عليه ان يفزع إلى باغاوان وهو لقب برهم فظهر برهم بصورة رجل له ألف رأس فسجد له برهما وجعل يسبحه، فانشرح صدر باغاوان وابدع النور وكشف الظلمات وأظهر لبعده حالة كينونته والكائنات بصور جرائم متخلدة واعطاه القوة لاجراجها من هذا الخمول، فبقى برهما يتأمل في ذلك مائة سنة الهية، وهى عبارة عن ستة وثلاثين الف سنة شمسية، ثم ابتدأ بالعمل، فابدع أولاً السموات السبع، المسماة عندهم سورغة واناها بالاجرام المسماة ديفانة، ثم ابدع مرتيلوكا اى مقر الموت، ثم الارض وقمريةها، ثم المساكن السبعة السفلى المسماة بتالة واناها بشمانية جواهر موضوعة على رؤوس ثمانى حيات، فالسموات والمساكن السفلى السبعة هى العوالم الاربعة عشر فى الميثولوجيا الهندية، ثم خلق الارواح السبعة لكى تعينه فامتنع بعضها، فتزوج حينئذ اخته سارا سواتى واولدها مائة ولد، وكان البكر اسمه دكشا، فولد له خمسون بنتاً فتزوجت ثلاثة عشر منهن كاسيابا وولدت اديتى الارواح المنيرة المسماة ديفانه، وهى التى تفعل الخير وتسكن السموات، واختها ديتى ولدت جمهوراً غفيراً من الارواح الشريرة المسماة اسورة، وهى سكان الظلام وقاعلة كل شر فى العالم، ثم ان برهما ولد اربعة اولاد وهم: برهمان وكتريا وفايسيا وسودرا، فكانوا اربع ارومات لاربع فرق أصلية، وتزوج الثلاثة الاخيرون بثلاث نساء منه. فهذا خلاصة ما فى الفيداس عن كيفية خلق العالم.

ثم ان برهما بعد ان كان الاله الخالق القدير سقط عن رتبة وشنو الاقنوم الثانى وسيوا الاقنوم الثالث لانه انتفخ بالكبرياء والعجب وظن نفسه نظير العلى فسقط فى الجحيم ولم ينل العفو الا بشرط ان يتجسد مرة فى كل من الاجيال الاربعة، فتجسد أول مرة بصورة غراب شاعر اسمه كاكابوشندا، وفى الثانية بصورة باريا فلميكي، فكان اولاً =

= نصًا ثم رجلاً عبوساً رزينًا نادماً، ثم ترجمانًا مشهورًا للفيداس، ومؤلفًا للراميانا، وفي المرة الثالثة بصورة فياسيا، وهو شاعر ومؤلف المهاربارانا واليغافا وعدة بورانات، وفي المرة الرابعة، وهو العصر الحالى المسمى كالى بوغ بصورة كاليبداسا الشاعر التشخيصى العظيم، ومؤلف ساكتالا ومنقح مؤلفات فلمينكى .

ثم ان برهما ظهر فى ثلاث أحوال، ففى الحال الأولى كان الواحد الصمد والكل الاعظم العلى وفى الحال الثانية ظهر منبثقًا من الاول اى شارعًا فى العمل وفى الحال الثالثة ظهر متجسدًا بصورة انسان وحكيم، وليس لبرهما عبادة عاملة عامة فى الهند بل له هناك هيكل واحد فقط، غير ان البراهمة يجعلونه موضوع عبادتهم ويدعونه مساء وصباحا، وهم يرمون الماء ثلاث مرات براحة ايديهم على الارض ونحو الشمس، ويجددون له عبادتهم وقت الظهر بتقديمهم له زهرة، وفى تقديس النار يقدمون له سمًا مصفى كما يقدمون لاله النار، وهذا التقديس اهم واقدم من كل ما سواه، واسمه هوم . ولبرهما القاب كثيرة ويمثل بلحية طويلة باحدى يديه سلسلة الكائنات والاخرى الاناء الذى فيه ماء الحيوه السموى راكبًا على الهمسا، وهو الطير الالهى الذى يشبه اللقلق والنسر .

واما برهمان فهو ابن برهما البكر، اخرجه من فيه وجعل نصيبه الكتب الاربعة المقدسة المسماة فيداس، كناية عن الكلمات الاربع التى نطق بها بافواه الاربعة، فلما اراد برهمان ان يتزوج نظير اخوته قال له برهم انك ولدت للدرس والصلاة فيجب ان تبتعد عن العلاقات الجسدية فلم يقتنع برهمان بقول ابيه، فغضب برهما وزوجه بواحدة من جنيات الشر المسماة اسورة، ومن هذا ولد البراهمة، وهم الكهنة المقدسون الذين خصوا بتفسير الفيداس، وكانوا يتولون امر كل التقدمات التى يقدمها الهنود للالهة، وولد كشتريا صنف الحريين من البراهمة وفياسيا صنف اهل الزراعة منهم وسودرا صنف العبيد، فالبراهمة اربعة اصناف .

ويستدل من هذه الرموز ان الصنفين الاولين هما من سلالة ايرانية اكتسحت بلاد هندستان وهم يسمون انفسهم ارياس، وهو نفس اربى عند اليونان، الذى هو اسم الماديين عندهم، والصنف الثالث هم السكان الاصليون المصقع الذى بين نهر السند ونهر الكنك، والصنف الرابع من سلالة الهنود الاولين الذين لونهم اصفر . =

= وربما كان اقتران برهمن بامرأة من نسل شرير رمزاً إلى أصل هذه الامة المتولدة من الماديين والفرس، فاذا البرهميون أو البراهمة الذين ولدوا من برهمن بن برهما كان اصلهم من سلالة رؤساء الهند الفاتحين، كما قيل، لانهم كانوا اصحاب الرتبة الشريفة العلمية فى ايران، وكان بعضهم يتكهن فسموا بذلك من بر بالفارسية، ومعناها فوق، ومان ومعناه رجل حكيم، فلما اشتركوا بالحروب مع اهل بقطريانة وشطوط نهر السند وكابل وافغانستان صاروا اصحاب الرتبة الثانية، وهم الكشترية والخصام الذى بينهم وبين اصحاب زرادشت المجوس، فالظاهر أن سببه الشرك الذى اراد زرادشت ان يطله ويجعل الناس يعبدون معبوداً واحداً، والبراهمة يعتبرون الشمس التى هى ينبوع النور والحرارة، الاله الوحيد وأول المعبودات وذلك دليل على انهم فرع قديم من اهل العبادة القديمة المجوسية التى اصلحها زرادشت.

ولا يعلم بالتحقيق الزمن الذى استوطنت فيه البراهمة فى هندستان، وقد ذكر هيرودونس عن الشعوب الذين كانوا ساكنين على ضفاف نهر الكنك كلاماً يستفاد منه ان البراهمة لم يكونوا إلى ذلك الوقت فتحوا البلا فانه يقول: ان سكان اهل البلاد كانوا امتين: احدهما وحشية والاخرى انيسة، وكانوا يقتاتون بالنبات، فالأولى لا يمكن ان تكون برهمية، والثانية لا يمكن ان تكون قادرة على فتح البلاد لضعفها، وذكر فى رواية ساكتالا انه فى زمن الملك دشمانا كان البراهمة لا يأكلون الصيد، وربما كان البراهمة فاتحو هندستان قد اقتبسوا بعض عادات الامة الأئيسة المذكورة، ومنعوا اكل اللحوم نظيرهم، وربما كانوا قد اقتبسوا قسماً عظيماً السيوانية التى كانت من زمن طويل فى لانكا، اى جزيرة سيلان، وفى جوار الكنك وهى فى الاصل من ايران، والبراهمة هم كهنة الهنود وحكماؤهم وعلماؤهم ورؤساء الدين والعلم والأدب يشتغلون بالصلاة والتسبيح والترتيل والعلوم الالهية والطب والتنجيم، ويتنسك بعضهم فى كهوف الجبال وعلى ضفاف الكنك.

وقد سميت طائفة منهم عند اليونان باسم جيمينوسوفست، أى حكماء عراة لانهم كانوا لا يلبسون ثياباً ولا يسترون اجسامهم، وهم قليلو الكلام، لا يأكلون لحم الحيوان، بل يقتصرون فى قوتهم على النباتات والثمار ولبن البقر والادر، ويكثرون الصوم، وقد ذكر بلوترخس ان الحكماء العشرة الذين اسرهم الاسكندر الكبير كانوا عراة، وان الاسكندر تعجب من حذاقتهم وحدة اذهانهم وانه اعادهم موقرين تحقاً.

سائر المرسلين، والدهرى<sup>(١)</sup> كافر بالطريق الأولى لانه انكر مع رسولنا

= وقد ذكر بعض العلماء البراهمة انهم قوم عكفوا على الفلسفة وعبادة الشمس يعيشون فى الفلاة يشتغلون بالوقوف على الحقائق لا ياكلون شيئاً من اللحوم ولا يلبسون الا نسيج الاسبتوس ينسجونه بايديهم ولا يغسلونه، بل اذا اتسخ يطرحونه فى نار شديدة فينقى ويبيض كالثلج.

ومهما اختلفت الآراء فيهم فالمعروف ان الانيسة كانوا يسكنون الغابات والكهوف والقلوات، وعن الانيسة اخذ الهنود معارفهم وحكمتهم التى اخذت فى هذه الاعصر بالتلاشى.

والبراهمة لا يجوزون على الله بعثة الرسل ويعتقدون خلود النفس والتناسخ، ويمارسون الوضوء والتشققات وسائر الرياضات، وهم اربعة اصناف، كما تقدم: صنف الكهنة والعلماء، ثم الحرييون، ومنهم الحكام الملقبون بالرجة، اهل الزراعة، ثم الفعلة اصحاب الصنائع والمهن. اهـ. بتصرف عن دائرة المعارف.

(١) نسبة إلى ابيقور الدهرى احد فلاسفة اليونان ومؤسس مذهب الدهرية، ويقال له ولاصحابه دهريون ونيشريون، أى طبيعيين، أسس مذهبه على انكار الاوهية جحد البعث والنشور، ويوم العرض والجزاء، وذهب الى ترك العبادات والادعية والصلوات ونحوها، وأن لا فائدة لكل ذلك، واستند بالحوادث كلها لطبيعة الدهر، وما ثبت الا ارحام تدفع وأرض تبلع، وكان يقول: ان من ضعف الرأى خوف الانسان من جهنم وان ما ذكره جاهلية اليونان من انواع عقابات جهنم ككون البعض يعاقب بالجوع والظما الدائم والبعض يعاقب بان يدحرج حجراً مستديراً من اسفل جبل الى اعلاه، كلما دحرجه عاد إليه، والبعض يكلف أن ينضح بدلوه حتى يملأ حوضاً متخرفاً، ونحو ذلك، فانما هى خرافات واختراعات للتثبيته على مكاره الدنيا وانه ينبغى للإنسان أن يتجنب ما يزعجه مما لا يستعمل إلا لتأكيد معيشة الدنيا وتضييع الهناء.

وُلد هذا الفيلسوف بمدينة اثينا فى السنة الثالثة من الالمبياد التاسع بعد المائة (أى قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة واربعة واربعين سنة) ومات باثينا بداء حصر البول، وذلك فى السنة الثانية من الالمبياد السابع والعشرين بعد المائة وعمره اثنان وسبعون سنة، ومن اراد الوقوف على ايضاح مذهبه فليرجع إلى تاريخ فلاسفة اليونان، فان ترجمته واعتقاده مبسوطان فيه، وأيضا إلى رسالة ابطال مذهب الدهريين للعلامة جمال الدين فانها غاية فى بابها. اهـ.

المرسل سائر الرسل، وهذا لأن الكفر حكم شرعى كالرق والحرية مثلا إذ معناه اباحة الدم والحكم بالخلود فى النار ومدركه شرعى فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص.

وقد وردت النصوص فى اليهود والنصارى والتحق بهم بالطريق الأولى البراهمة والثنوية<sup>(١)</sup>.

(١) قال المقرئى: هم المجوس ويقولون باصلين هما النور والظلمة، ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة اهرمن، ويقرون بنبوة ابراهيم عليه السلام، وهم ثمانى فرق: الكيومرته اصحاب كيومرت، الذى يقال: انه آدم، والزروانية اصحاب زروان الكبير، والزرادشتية اصحاب رادشت ابن بيورشت الحكيم، والثنوية اصحاب الاثني الارلين، والمانونية اصحاب مانى الحكيم، والمزدكية اصحاب مزدك الخارجى، والبيصانية اصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين، والفوقونية القائلون بالاصلين وأن الشر خرج على ابيه، وأنه تفكر فى فكرة أفكارها فى نفسه، فلما خرج على ابيه الذى هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات، وهم الملائكة، ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون القول ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل.

ونقل التهانوى أن الثنوية فرقة من الكفرة يقولون باثنية الاله، قالوا نجد فى العالم خيراً كثيراً وشرّاً كثيراً، وان الواحد لا يكون خيراً شريراً بالضرورة، فلكل منها فاعل على حدته، وتبطله دلائل الوحداية، ثم المأمونة والديصانية من الثنوية، قالوا: فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة، والنور حى عالم قدير سميع بصير، والمجوس منهم ذهبوا الى ان فاعل الخير هو يزدان وفاعل الشر هو اهرمن ويعنون به الشيطان. اهـ.

واما البصانية الذين ذكرهم المقرئى فالصواب انهم الديصانية الذين ذكرهم التهانوى، والمأمونية الذين ذكرهم المقرئى، وان يزدان الذى ذكر فى كليهما هو المعروف عند الفرس باسم اورمزد، وتحقيق السذهب أنه ميثلوجى أو دينى فقد ذكر الوثنيون فى لاهوتهم ان المعبودات قسمان منشقان من اصلين ارلين، الواحد فاعل الخير والآخر فاعل الشر، فمنهم من يقول ان كليهما متساويان فى القوة والزمان، ومنهم من يقول =

والزنادقة<sup>(١)</sup> والدهرية، وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر  
مكذب للرسول، وكل مكذب فهو كافر.  
فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة.

= ان فاعل الخير ادنى رتبة من فاعل الشر، وان الأول سيتنصر على الثاني انتصاراً تاماً،  
والمذهب الميثولوجي شاع بين كل الامم القديمة تقريباً وعبروا عنه برموز مختلفة،  
فالصينيون قالوا ان ينغ هو اصل الخير، وين هو اصل الشر، وعند المصريين كان  
تيفون عبارة عنهما وكذلك نفتيس ذو الصفتين وعند الهنود ان وشنو اصل الخير، وانه  
يحارب اصل الشر على صورة مختلفة، وان فارونا مشترك بينهما، فتارة يكون للخير  
واخرى للشر، وعند الفرس هما أورمزد واهرمز، واما مذهب الفلاسفة فالثنوية  
يقصدون تقرير أصل الشر وايضاح تركيب العالم وبقائه، فالاصلان المزعومان عندهم  
هما الروح أو العقل والمادة، فالروح هي المبدأ الفاعل، ويزعمون أنه لولا المادة لم  
يمكنه أن يخلق العالم.

وذهب افلاطون الى ان دوام المادة هو سبب الشر، والرواقيون من هذا المذهب.  
وقد اختلفت آراء الفلاسفة في طبيعة المادة، فذهب فيثاغورس الى انها عدد ينقسم الى  
ما لا نهاية له، وقال افلاطون: انها الحيز او الاين والكمية غير المحدودة، وقال ارسطو  
انها الكائن ذو القدرة والبسيط الممكن. اهـ. دائرة المعارف.

(١) جمع زنديق والهاء عوضاً عن الياء المحذوفة، وأصل الجمع زناديق، وهي كلمة فارسية  
معربة عن زنده نسبة الى زند، اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الثنوية  
في زمن كسرى قباد، فنسب اليه اصحابه، وهم الزنادقة، وقتله كسرى انوشروان، وقيل  
معرب زن دين، أي صاحب الدين، اشارة إلى المعتقد بدین زرادشت، او هي معربة  
عن الزندا وهو دين المجوس، وفي تعريفه اقوال كثيرة، منها: انه الثنوى القائل بوجود  
خالقين أحدهما اله النور، وهو يزدان، والثاني اله الظلمة، وهو اهرمن، والأول اله  
الخير وخالقه، والثاني اله الشر وخالقه، وهو مذهب الفرس القدماء، وقيل انه من لا  
يؤمن بالله والربوبية، وكتب الزنادقة تبيح الاشتراك في الاموال والنساء كاشتراك الناس  
في الماء والكلأ، ويطلق لفظ الزنديق عند العرب على من ينفي وجود الباري تعالى أو  
يثبت له شريكاً او ينكر حكمته، وعلى هذا قول ابن الراوندي:

كم عاقل أعيت مذاهبه  
 وجاهل جاهل تلقاه مرروقاً  
 هذا الذى ترك الاوهام حائرة  
 وصير العالم النحرير زنديقاً  
 أى لو كان للعالم صانع حكيم لما كان العاقل ردىء الحال والجاهل رخيء الحال وقيل  
 انه من يبطن الكفر ويظهر الايمان، وعليه قول بعضهم:  
 بغداد دار لاهل المال طيبة  
 وللمفاليس دار الضنك والضيق  
 ظللت حيران أمشى فى أرقتها  
 كأننى مصحف فى بيت زنديق

وقيل: انه من لا يتدين بدين.

اما حكمه الشرعى فقد قيل: انه لا يخلو اما ان يكون معروفاً داعياً الى الضلال او لا،  
 والاول يقتل ولا تقبل توبته، الا ان كانت ابتداء منه من غير خوف قتل الحاكم، وهذا  
 مذهب الامام مالك والغزالي وبعض اصحاب الامام الشافعى وابى الليث، وعليه افتى  
 الامام القاضى فخر الدين خان، رحم الله الجميع، والثانى على ثلاثة اوجه: وهو اما ان  
 يكون زنديقاً من الاصل على الشرك، او يكون مسلماً فتزندق، او يكون ذمياً فتزندق،  
 فالاول يترك على شركه ان كان من العجم، لانه كافر اصلى، والثانى يعرض عليه  
 الاسلام فان اسلم فيها، والا قتل لانه مرتد، والثالث يترك على حاله لان الكفر ملة  
 واحدة.

وهذا خلاصة ما قيل فى رسالة ابن كمال باشا، ورسالة اخرى لاحد علماء الدولة  
 العثمانية ودائرة المعارف، وبعض كتب اللغة فى حكم الزنديق وحده.

## فصل

اعلم ان الذى ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لان كل فرقة تُكفِّرُ مخالفتها وتنسبه إلى تكذيب الرسول ﷺ .

فالحنبلى يكفر الاشعرى زاعماً انه كذَّب الرسول ﷺ فى اثبات الفوق لله تعالى وفى الاستواء على العرش، والاشعرى يكفره زاعماً انه مشبه وكذب الرسول ﷺ فى انه ليس كمثله بشيء .

والاشعرى يكفر المعتزلى زاعماً انه كذب الرسول ﷺ فى جواز رؤية الله تعالى وفى اثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلى يكفر الاشعرى زاعماً ان اثبات الصفات تكفير للقدماء وتكذيب للرسول ﷺ فى التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا ان تعرف حدَّ التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه، فيكشف لك غلو هذه الفرق واسرافها فى تكفير بعضها بعضاً .

فأقول: التصديق انما يتطرق إلى الخبر بل إلى المُخبرِ وحقيقة الاعتراف بوجوده ما اخبر الرسول ﷺ عن وجوده .

إلا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفتها إلى التكذيب، فان الوجود ذاتى وحسى وخيالى وعقلى وشبهى، فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول ﷺ عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق .

فلنشرح هذه الاصناف الخمسة، ولنذكر امثالها فى التأويلات:  
 اما الوجود الذاتى فهو الوجود الحقيقى، الثابت خارج الحس والعقل،  
 ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فىسمى اخذه ادراكًا وهذا كوجود  
 السموات والأرض والحيوان والنبات، وهو ظاهر، بل هو المعروف الذى  
 لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه.

وأما الوجود الحسى فهو ما يتمثل فى القوة الباصرة من العين مما لا  
 وجود له خارج العين فىكون موجوداً فى الحس ويختص به الحس ولا  
 يشاركه غيره، وذلك كما يشاهده النائم، بل كما يشاهده المريض المتيقظ،  
 اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد  
 سائر الموجودات الخارجة عن حسه، بل قد تتمثل للانبيا والأولياء فى  
 اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة، وينتهى اليهم الوحي  
 والالهام بواسطتها، فيتلقون من امر الغيب فى اليقظة ما يتلقاه غيرهم فى  
 النوم، وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾  
 وكما انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن ما رآه فى صورته إلا  
 مرتين، وكان يراه فى صورة مختلفة يتمثل بها، وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فى المنام، وقد قال: «من رآنى فى النوم فقد رآنى حقاً، فان الشيطان لا  
 يتمثل بى» ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة إلى  
 موضع النائم، بل هى على سبيل وجود صورته فى حس النائم فقط، وسبب  
 ذلك وسره طويل، وقد شرحناه فى بعض الكتب.

فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من نار كأنه نقطة

ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطأ من نار وتحركه حركه مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك، لان الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال، وانما تصوير خطأ في أوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجوداً في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة.

واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخرع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضاً عينيك حتى كأنك تشاهده، وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج.

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في خيال او حس او خارج كاليد مثلاً، فان لها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش، والقدرة على البطش هي اليد العقلية، وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم، وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقروناً بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية.

وأما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجوداً لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصية من خواصه وصفة من صفاته، وستفهم هذا اذا ذكرت لك مثاله في التأويلات.

فهذه مراتب وجود الاشياء.

## فصل

اسمع الآن امثلة هذه الدرجات فى التأويلات :

أما الوجود الذاتى فلا يحتاج إلى مثال، وهو الذى يجرى على الظاهر ولا يتأول، وهو الوجود المطلق الحقيقى، وذلك كإخبار الرسول ﷺ عن العرش والكرسى والسماوات السبع، فانه يجرى على ظاهره ولا يتأول، اذ هذه اجسام موجودة فى انفسها أدركت بالحس والخيال أو لم تدرك وأما الوجود الحسى فأمثلته فى التأويلات كثيرة، واقنع منها بمثالين :

احدهما: قول رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار» فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض، وان قلب العرض جسمًا مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت، ويكون ذلك موجودًا فى حسهم لا فى الخارج، ويكون سببًا لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك، اذ المذبح ميثوس منه، ومن يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشًا فى ذاته ويذبح.

المثال الثانى: قول رسول الله ﷺ: «عُرِضت على الجنة فى عرض هذا الحائط» فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم ينتقل على الحائط لكن تمثل للحس صورتها فى الحائط حتى كأنه يشاهدها، ولا يمتنع ان يشاهد مثال شىء كبير فى جرم صغير كما تشاهد السماء فى مرآة صغيرة، ويكون

ذلك إبصاراً مفارقاً لمجرد تخيل صورة الجنة إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل .

وأما الوجود الخيالي فمثاله قوله عليه السلام : «كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه عباة تان قَطَوَانِيَّتَان يلبى وتجيبه الجبال، والله تعالى يقول له لَبَّيْكَ يَا يونس والظاهر ان هذا إنباءٌ عن تمثيل الصورة في خياله، إذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول الله عليه السلام ، وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً في الحال .

ولا يبعد أن يقال أيضاً تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور، ولكن قوله : «كأنى أنظر» يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر، والغرض التفهيم بالمثال لا عين هذه الصورة، وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة، وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل .

وأما الوجود العقلي فأمثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين :

أحدهما: قوله عليه السلام : «آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا» فان ظاهر هذا يشير إلى أنه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة، وهو التفاوت الحسى والخيالى، ثم قد يتعجب فيقول ان الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا، وقد يقطع التأول هذا بالتعجب فيقول المراد به تفاوت معنوى عقلى لا حسى ولا خيالى، كما يقال مثلاً: هذه الجوهرة

اضعاف الفرس اى فى روح المالىة ومعناها المدرك عقلاً دون مساحتها المدركة بالحس والتخيّل .

المثال الثانى: قوله ﷺ: «ان الله تعالى خمّر طينة آدم بيده اربعين صباحاً» فقد اثبت لله تعالى يداً، ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هى جارحة محسوسة او متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية، اعنى انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها، ان روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل ويعطى ويمنع، والله تعالى يعطى ويمنع بواسطة ملائكته، كما قال ﷺ: «أول ما خلق الله العقل، فقال بك اعطى وبك امنع» ولا يمكن ان يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقد المتكلمون، اذ لا يمكن ان يكون العرض اول مخلوق، بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلاً من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة إلى تعلم، وربما يسمى قلماً باعتبار انه تنقش به حقائق العلوم فى ألواح قلوب الانبياء والأولياء وسائر الملائكة وحياً والهاماً، فانه قد ورد فى حديث آخر ان اول ما خلق الله تعالى القلم، فان لم يرجع ذلك إلى العقل تناقض الحديثان، ويجوز أن يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة، فيسمى عقلاً باعتبار ذاته، وملكاً باعتبار نسبتته إلى الله تعالى فى كونه واسطة بينه وبين الخلق، وقلماً باعتبار اضافته إلى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحى، كما يسمى جبريل روحاً باعتبار ذاته، وأميناً باعتبار ما اودع من الاسرار، وذا مرة باعتبار قدرته، وشديد القوى باعتبار

كمال قوته، ومكيناً عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته، ومطاعاً باعتبار كونه متبوعاً فى حق بعض الملائكة.

وهذا القائل يكون قد اثبت قلما ويدا عقلياً لا حسيّاً وخيالياً، وكذلك من ذهب إلى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى، إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون.

وأما الوجود الشبهى فمثاله: الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك، مما ورد فى حق الله تعالى، فان الغضب مثلاً حقيقة انه غليان دم القلب لارادة التشفى، وهذا لا ينفك عن نقصان وألم، فمن قام عنده بالبرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله ثبوتاً ذاتياً وحسيّاً وخيالياً وعقلياً نزله على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب، كارادة العقاب، والارادة لا تناسب الغضب فى حقيقة ذاته، ولكن فى صفة من الصفات تقارنها واثر من الآثار يصدر عنها، وهو الايلام. فهذه درجات التأويلات.

## فصل

اعلم ان كل من نزلَّ قولاً من اقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين .

وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعانى ويزعم ان ما قاله لا معنى له، وانما هو كذب محض، وغرضه فيما قاله التليس أو مصلحة الدنيا، وذلك هو بالكفر المحض والزندقة، ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل - كما سنشير اليه - وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه، فابعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل - رحمة الله عليه - وابعد التأويلات عن الحقيقة واغربها ان تجعل الكلام مجازاً أو استعارة هو الوجود العقلي والوجود الشبهي، والحنبلي مضطر إليه وقائل به، فقد سمعت الثقات من ائمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل - رحمه الله - صرح بتأويل ثلاثة احاديث فقط: احدها: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الحجر الاسود يمين الله فى الارض» والثانى: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن» والثالث: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «انى لأجد نفس الرحمن من قِبَلِ اليمين» .

فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تُقْبَلُ فى العادة تقريباً إلى صاحبها، والحجر الاسود يُقْبَلُ ايضاً تقريباً إلى الله تعالى، فهو مثل اليمين لا فى ذاته، ولا فى صفات ذاته ولكن فى عارض من عوارضه، فسمى لذلك يميناً، وهذا الوجود هو الذى سميناه

الوجود الشبهى، وهو ابعد وجوه التأويل فانظر كيف اضطر إليه ابعد الناس عن التأويل.

وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حساً اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين، فتأوله على روح الاصبعين وهى الاصبغ العقلية الروحانية، اعنى ان روح الاصبغ ما به يتيسر تقليب الاشياء، وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكفى بالاصبعين عنهما.

وانما اقتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الأحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا فى هذا القدر، لانه لم يكن ممعناً فى النظر العقلى ولو امعن لظهر له ذلك فى الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله.

والاشعري والمعتزلى لزيادة بحثهما تجاوزا إلى تأويل ظواهر كثيرة، وأقرب الناس الى الحنابلة فى امور الآخرة الاشعرية، وفقهم الله، فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا يسيراً، والمعتزلة أشد منهم توغلا فى التأويلات وهم مع هذا - اعنى الاشعرية - يضطرون أيضاً إلى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يُوتى بالموت فى صورة كبش املح، وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان، فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال: تورن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزاناً بقدر درجات الأعمال، وهذا ردٌ إلى الوجود الشبهى البعيد، فان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال

هى اغراض، فليس المورون اذا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل.

والمعتزلى تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو أبعده عن التعسف فى التأويل بوزن الصحائف. وليس الغرض تصحيح احد التأويلين بل أن تعلم ان كل فريق وان بالغ فى ملازمة الظواهر فهو مضطر إلى التأويل الا ان يجاوز الحد فى الغباوة والتجاهل فيقول: الحجر الاسود يمين تحقيقاً، والموت وان كان عرضاً فيستحيل فينتقل كبشاً بطريق الانقلاب، والاعمال وان كانت اعراضاً وقد عدت فتنتقل إلى الميزان ويكون فيها اعراض هى الشغل، ومن ينتهى إلى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربة العقل.

## فصل

فاسمع الآن قانون التاويل فقد علمت اتفاق الفرقِ على هذه الدرجات الخمس فى التاويل، وان شيئاً من ذلك ليس من حيز التكذيب، واتفقوا ايضاً على ان جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر، والظاهر الأول هو الوجود الذاتى، فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر فالوجود الحسى، فانه ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالى او العقلى، وان تعذر فالوجود الشبهى المجازى، ولا رخصة للعدول عن درجة إلى ما دونها الا بضرورة البرهان، فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين اذا يقول الحنبلى: لا برهان على استحالة اختصاص البارى بجهة فوق، ويقول الاشعرى: لا برهان على استحالة الرؤية، وكان كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً.

وكيف ما كان فلا ينبغى ان يُكفَّر كل فريق خصمه بأن يراه غالباً فى البرهان، نعم يجوز ان يسميه ضالاً أو مبتدعاً: أما ضالاً فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده، وأما مبتدعاً فمن حيث انه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف الصالح التصريح به، إذا المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يُرى، فيقول القائل: لا يُرى بدعة، وتصريحه بتاويل الرؤية بدعة بل إن ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغى ان لا يظهره ولا يذكره، لان السلف لم يذكره.

لكن عند هذا يقول الحنبلى: اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند

السلف، ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم ليس متصلًا بالعالم ولا منفصلاً ولا داخلاً ولا خارجاً وان الجهات الست خالية عنه، وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت، فهذا قولٌ بَدِعَ، اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف، وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين:

احدهما: مقام عوام الخلق، والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً، والحذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة، وحسم باب السؤال رأساً، والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع ما تشابهه من الكتاب والسنة، كما رُوِيَ عن عمر رضي الله عنه انه سأل سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة، وكما روى عن مالك - رحمه الله - انه سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة.

المقام الثاني بين النظائر الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي ان يكون بحثهم بقدر الضرورة، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع، ولا ينبغي ان يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غلطاً فيما يعتقد برهائناً، فان ذلك ليس امراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به، فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن. وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم) وهي التي لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها اصلاً، بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً، والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف، وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن لا يستحيل منهم الاختلاف ايضاً إما

لقصور بعضهم عن ادراك تمام شروطه وإما في رجوعهم في النظر إلى محض القريحة والطبع دون الوزن بالميزان، كالذى يرجع بعد تمام تعلم العروض في الشعر إلى الذوق لاستثقاله عَرَض كل شعر على العروض، فلا يبعد أن يغلط، وإما لاختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين، فإن من العلوم التي هي أصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها، والناس يختلفون في التجربة والتواتر، فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره، وقد يتولى تجربة ما لا يتولاه غيره، وإما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل، واما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات، كما فصلنا ذلك في كتاب (محك النظر) ولكن بالجملة، اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر.

## فصل

من الناس من يبادر إلى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع، ولا ينبغي أن يُبادر أيضًا إلى كفره في كل مقام بل ينظر فيه، فإن كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره، وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ غير ظاهرها، بل هي جواهر نورانية ملكية، ونورانيها عقلية لا حسية، ولها درجات في الكمال نسبة ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس، ويستدل عليه بأن الخليل عليه السلام اجلُّ من ان يعتقد في جسم انه اله حتى يحتاج إلى ان يشاهد أقوله، افتري انه لو لم يأفل اكان يتخذه الها؟ ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسمًا مقدراً، واستدل بانه كيف يمكن ان يكون اول ما رآه الكوكب والشمس هي الاظهر، وهي اول ما يُرى واستدل بان الله تعالى قال اولاً: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم حكى هذا القول، فكيف يمكن ان يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له، وهذه دلالات ظنية وليست براهين.

اما قوله: هو اجل من ذلك، فقد قيل انه كان صبيًا لما جرى له ذلك، ولا يبعد ان يخطر لمن سيكون نبياً في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه على قرب ولا يبعد ان تكون دلالة الافول على الحدوث عنده اظهر من دلالة التقدير والجسمية.

وأما رؤية الكوكب أولاً فقد روى انه كان محبوساً في صباه في غار وانما خرج بالليل .

وأما قوله تعالى اولاً: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يجوز ان يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع إلى ذكر بدايته . فهذه وامثالها ظنون يظنها براهين مَنْ لا يعرف حقيقة البرهان وشرطه، فهذا جنس تأويلهم، وقد تأولوا العصا والنعلين في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾ وقوله ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ ولعل الظن في مثل هذه الامور التي لا تتعلق باصول الاعتقاد تجرى مجرى البرهان في اصول الاعتقاد، فلا يُكفَّر فيه ولا يُبدَع، نعم ان كان فتح هذا الباب يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه في كل ما لم يؤثر عن السلف ذكره، ويقرب منه قول بعض الباطنية<sup>(١)</sup> ان عجل السامري مؤول، اذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل

(١) قوم يستترون بالاسلام، وهم خارجون عنه، ولهم ألقاب كثيرة منها: الملاحدة والقرامطة والباطنية والاسماعيلية والنصيرية والحزمية والمحمرة، وهذه الاصناف منها ما يعمهم ومنها ما يخصهم، وظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض لانهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء والمرسلين، لا بنوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله عليهم اجمعين، ولا بشيء من كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل والقرآن، ولا يقرون بان للعالم خالقاً خلقه، ولا بان له ديناً امر به، ولا ان له داراً يجزى الناس فيها على اعمالهم سوى دار الدنيا، وبينون عقائدهم تارة على قول الفلاسفة وتارة يؤولون الكتاب والسنة ويقولون بان الصلوات الخمس عبارة عن خمسة اسماء، وهي على وحسن وحسين ومحسن وقاطمة، وان ذكر اولئك الخمس يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلاة، والصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلاً واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم، ويقولون يدا ابى لهب هما ابر بكر وعمر، والنبا العظيم هو على بن ابى طالب، ولهم في معاناة الاسماء

يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون الها؟ وهذا أيضاً ظن، اذ لا يستحيل ان تنتهى طائفة من الناس اليه كعبدة الاصنام، وكونه نادراً لا يورث يقيناً.

واما ما يتعلق من هذا الجنس باصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع، كالذى ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية فى الآخرة بظنون واوهام واستباعات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعاً اذ، لا برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر فى الدين، فيجب تكفير كل من تعلق به وهو مذهب اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا الكليات، فاما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول ﷺ قطعاً، وليس من قبيل الدرجات التى ذكرناها فى التأويل، اذ أدلة القرآن والأخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم تعلق علم الله تعالى بتفصيل، كلما يجرى على الاشخاص مجاوز حدًا لا يقبل التأويل، وهم معترفون بان هذا ليس من التأويل، ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق فى ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلى وكان صلاحهم فى ان يعتقدوا ان الله تعالى عالم بما يجرى

= وقائع مشهورة وكتب مصنفه، وقتلوا مرة الاسلام والقوم فى بئر زمزم واخذوا مرة الحجر الاسود وبقي عندهم باليمن، ثم اعيد، ومنهم صاحب قلعة الموت وحسن الصباح ونصير الدين الطوسى، ومن مذهبهم ان لا ينصحوا مسلماً ولا أحدًا من اهل الدمة، ولهم ضرر على المسلمين كثير، وفى غدوهم لخليفة بغداد وقتل المسلمين كفاية.

ومن أراد تفصيل معتقداتهم والحكم فى معاملتهم فليرجع لكتاب المستظهرى للمؤلف، او لرسالة شيخ الاسلام ابن تيمية فى الرد على النصرانية. اهـ.

عليهم ورقيب عليهم، ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول ﷺ ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله، وهذا القول باطل قطعاً لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذراً في انه لم يكذب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة، ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب، وهذه اول درجات الزندقة، وهى رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة، فان المعتزلة يقرب منهاجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الأمر الواحد، وهو ان المعتزلى لا يجوز الكذب على الرسول ﷺ بمثل هذا العذر، بل يأول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه، والفلسفى لا يقتصر على مجاوزته للظاهر على ما يقبل التأويل على قرب أو على بعد.

وأما الزندقة المطلقة فهو ان تنكر أصل المعاد عقلياً وحسياً وتنكر الصانع للعالم أصلاً ورأساً.

وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم فهى زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء، وظاهرُ ظنى - والعلم عند الله - ان هؤلاء هم المرادون بقوله ﷺ: «ستفترق أمتى بضعاً وسبعين فرقة، كلهم فى الجنة الا الزنادقة» وهى فرقة، هذا لفظ الحديث فى بعض الروايات، وظاهر الحديث يدل على انه اراد به الزنادقة من امته، اذ قال: «ستفترق أمتى» ومن لم يعترف بنبوته فليس من امته، والذين ينكرون اصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ

يزعمون ان الموت عدم محض، وان العالم لم يزل كذلك موجوداً بنفسه من غير صانع، ولا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر، وينسبون الانبياء إلى التليس، فلا يمكن نسبتهم الى الامة، فإذا لا معنى لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه.

## فصل

اعلم ان شرح ما يُكفّر به وما لا يُكفّر به يستدعى تفصيلا طويلا يفترق الى ذكر كل المقالات والمذاهب، وذكر شبهة كل واحد ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله، وذلك لا يحويه مجلدات ولا تتسع لشرح ذلك اوقاتي، فاقنع الان بوصية وقانون:

اما الوصية فان تكف لسانك عن اهل القبلة ما امكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله، غير مناقضين لها، والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر او غير عذر، فان التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه.

وأما القانون فهو ان تعلم ان النظريات قسمان: قسم يتعلق باصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع، واصول الايمان ثلاثة: الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وما عداه فروع، واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا إلا في مسألة واحدة وهي ان ينكر اصلا دينيا علم من الرسول ﷺ بالتواتر، لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات، وفي بعضها تبديع، كالخطأ المتعلق بالامامة واحوال الصحابة.

واعلم ان الخطأ في اصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيئا منه تكفيرا، فقد انكر ابن كيسان<sup>(١)</sup> اصل وجوب الامامة، ولا

(١) هو صاحب التصانيف في القرءات والغريب والنحو، وكان أبو بكر بن مجاهد يعظمه ويقول هو الحي من الشيخين، يعني ثعلبًا والمبرد.

توفى، رحمه الله، في ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين. اهـ. شذرات الذهب لأبي الفلاح.

يلزم تكفيره، ولا يلتفت الى قوم يعظمون امر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقرونًا بالايمان بالله وبرسوله، ولا إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة، فكل ذلك اسراف، اذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ اصلاً.

ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وان كان في الفروع.

فلو قال قائل مثلاً: البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي امر الله تعالى بحجها، فهذا كفر، اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله ﷺ خلافه، ولو انكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره، بل يعلم قطعاً انه معاند في انكاره الا ان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك، وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها الى الفاحشة، وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر، لان هذا وامثاله لا يمكن الا بتكذيب الرسول او انكار التواتر، والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه ان يجهره بقلبه، نعم لو انكر ما ثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر، ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر، لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه، وانكر النظام<sup>(١)</sup> كون الاجماع حجة اصلاً، فصار كون الاجماع حجة مختلف فيه.

(١) هو ابراهيم بن سيار بن هانى البصرى المعروف بالنظام، ويكنى ابا اسحاق، شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، شديد الغوص على المعاني، اذاه الى المذاهب التي استبشعت منه تدقيقه وتغلغله لانه اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال في كلامه إلى الطبيعيين منهم والالهيين، فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة، وانفرد بها عنهم، مثل قوله ان الله تعالى لا بوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي خلافاً لاصحابه، لانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها، =

فهذا حكم الفروع .

واما الاصول الثلاثة وكل ما لم يحتمل التأويل فى نفسه وتواتر نقله، ولم يتصور ان يقوم برهان على خلافه، فمخالفته تكذيب محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار، واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق إليه احتمال التأويل، ولو بالمجاز البعيد، فننظر فيه إلى البرهان، فان كان قاطعاً وجب القول به، ولكن ان كان فى اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم، فإظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعياً لكن يفيد ظناً غالباً، وكان مع ذلك لا يعلم ضرره فى الدين كفى المعتزلى الرؤية عن الله تعالى، فهذه بدعة وليس بكفر .

وأما ما يظهر له ضرر فيقع فى محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر

= وله غير ذلك مما انتقد عليه، وانما عدت سقطاته لكثرة اصابته؛ وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة، وله مع الخليل بن أحمد وغيره نوادر .

أخذ الكلام عن ابي الهذيل العلاف الى ان برع وظهر فى ايام المعتصم، وتبعه خلق كثير، وناظر استاذه ابا الهذيل وظهر عليه مراراً، وقيل له: اتناظر ابا الهذيل؟ قال: نعم، واطرح له رخا من عقلى .

توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة، وله كلام حسن وشعر رقيق، ومن كلامه: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك، فانت من اعطائه لك البعض على خطر، ومن شعره:

اريد الفراق واشتاقكم

كأنا افترقنا ولم نفترق

واستغنم الوصل كى اشتفى

وهل يشتفى ابدًا من عشق

وعنه اخذ الجاحظ واترابه .

ومن اراد التطويل فليرجع لشرح رسالة ابن زيدون .

ويحتمل أن لا يكفر، ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعى التصوف انه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى أسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي واكل مال السلطان، فهذا ممن لا شك في وجوب قتله، وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقتلٌ مثل هذا افضل من قتل مائة كافر، اذ ضرره في الدين اعظم، ويفتح به باب من الاباحة لا ينسد، وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقاً، فانه يمنع عن الاصغاء إليه لظهور كفره، وأما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع، ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم، اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته في الدين، وربما يزعم انه يلبس ويقارف المعاصي بظاهره، وهو بباطنه برىء عنها، ويتداعى هذا الى أن يدعى كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الدين، ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك قطعاً في كل مقام، بل التكفير حكم شرعى يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كماخذ سائر الاحكام الشرعية، فتارة يُدرك بيقين وتارة بظن غالب، وتارة يُتردد فيه، ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير اولى، والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل.

ولا بد من التنبيه على قاعدة أخرى: وهو ان المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم انه مؤول، ولكن ذكر تأويله لا انقذاح له اصلاً في اللسان، لا على بعد ولا على قرب، فذلك كفر وصاحبه مكذب، وان كان يزعم انه مؤول.

مثاله ما رأيت في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطى

الوحدة ويخلقها، وعالمٌ بمعنى انه يعطى العلم لغيره ويخلقه، وموجود  
بمعنى انه يوجد غيره، واما ان يكون واحداً في نفسه وموجوداً وعالمًا على  
معنى اتصافه فلا.

وهذا كفر صراح، لان حمل الوحدة على اتحاد الوحدة ليس من التأويل  
فى شىءٍ ولا تختمله لغة العرب اصلاً، ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً  
لخلقه الوحدة لسمى ثلاثاً واربعاً لانه خلق الاعداد ايضاً، فأمثله هذه  
المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات.

## فصل

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر فى التكفير يتعلق بأمور:

احدها: ان النص الشرعى الذى عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل ام لا؟ فان احتمل، فهل هو قريب أم بعيد؟ ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل ليس بالهين، بل لا يستقل به الا الماهر الحاذق فى علم اللغة العارف بأصول اللغة، ثم بعادة العرب فى الاستعمال فى استعاراتها وتجاوزاتها ومنهجها فى ضروب الامثال.

الثانى: فى النص المتروك انه ثبت تواتراً او آحاداً او بالاجماع المجرد، فان ثبت تواتراً فهو على شرط التواتر أم لا، اذ ربما يُظن المستفيض تواتراً، وحدث التواتر ما لا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها، وانه متواتر فى الاعصار كلها عصراً بعد عصر إلى زمان النبوة، فهل يتصور ان يكون قد نقص عدد بالتواتر فى عصر من الاعصار، وشرط التواتر ان لا يحتمل ذلك كما فى القرآن، أما فى غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً، ولا يستقل بادراكه الا الباحثون عن كتب التواريخ واحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث واحوال الرجال واغراضهم فى نقل المقالات، اذ قد يوجد عدد التواتر فى كل عصر، ولا يحصل به العلم، اذ كان يتصور ان يكون للجمع الكثير رابطة فى التوافق لا سيما بعد وقوع التعصب بين ارباب المذاهب، ولذلك ترى الروافض يدعون النص على على بن ابي طالب عليه السلام فى الامامة لتواتره عندهم، وتواتر عند

خصومهم في اشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم، لشدة توافق الروافض على اقامة اكاذيبهم واتباعها.

وأما ما يستند إلى الاجماع فدرك ذلك من اغمض الاشياء، اذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد اتفاقاً بلفظ صريح، ثم يستمروا عليه مرة عند قوم، وإلى تمام انقراض العصر عند قوم، أو يكتبهم امام في اقطار الارض فيأخذ فتاويهم في زمان واحد بحيث تنفق اقوالهم اتفاقاً صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده، ثم النظر في ان من خالف بعده هل يكفر؟ لان من الناس من قال اذا جاز في ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم أن يرجع بعد ذلك، وهذا غامض ايضاً.

الثالث: النظر في أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر، او هل بلغه الاجماع؟ اذ من يولد لا تكون الامور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وانما يدرك ذلك شيئاً فشيئاً، وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف، ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين، اذ لا يحصل تواتر الاجماع به.

وقد صنف ابو بكر الفارسي<sup>(١)</sup>، رحمه الله كتاباً في مسائل الاجماع وأنكر عليه كثير منه، وخولف في بعض تلك المسائل.

(١) اسمه محمد بن احمد بن علي بن شاهويه الفارسي الفقيه القاضى، ابو بكر البيضاوى، كان اماماً جليلاً، له الرتبة الرفيعة في الفقه، وله معرفة بالادب، وصنف في كل منهما، وكان يعرف بالشافعى، له من التأليف التبصرة في الفقه، وله عليها شرحان: =

فإذاً من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب، فلا يمكن تكفيره. والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس ييسير.

الرابع: النظر في دليله الباعث له على مخالفة الظاهر، أهو على شرط البرهان أم لا؟ ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا في مجلدات، وما ذكرنا في كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر) انموذج منه. وتكلاً قريحة اكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان على الاستيفاء، ولا بد من معرفة ذلك، فان البرهان اذا كان قاطعاً رخص في التأويل، وان كان بعيداً فاذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا في تأويل قريب سابق إلى الفهم.

الخامس: في ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها في الدين أم لا؟ فان ما لا يعظم ضرره في الدين فالامر فيه اسهل وان كان القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختفٍ في سرداب، فانه ينتظر خروجه، فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جداً، ولكن لا ضرر فيه

= احدهما تحليل مسائل التبصرة، والثاني التذكرة شرح التبصرة، ألفه بأربعة اشهر سنة احدى وعشرين وثلاثمائة، وله كتاب الارشاد على كفاية الصيمرى. ذكره الحاكم ابو عبد الله في تاريخ نيسابور، وقال: اقام بنيسابور زماناً ثم خرج إلى بخارى، ثم انصرف إلى نيسابور، ورجع إلى بلاد فارس فولى القضاء بها، ثم رجع إلى نيسابور، وحدث بها.

وتوفى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور، رحمه الله. وله في المذهب وجوه بعيدة تفرد بها ولم نرها منقولة عن غيره، ولا اعلم عن من أخذ الفقه. اهـ. باختصار من الطبقات الكبرى لتاج الدين السبكي، وابن خلكان.

على الدين، انما الضرر على الاحمق المعتقد لذلك، اذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع إلى بيته خاسئًا.

وهذا مثال، والمقصود انه لا ينبغي ان يكفر بكل هذيان، وان كان ظاهر البطلان، فاذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التي لا يستقل بأحاديها المبرزون علمت ان المبادر إلى تكفير من يخالف الاشعري او غيره جاهل مجازف، وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم، وفي أى ربع من ارباع الفقه يصادف هذه العلوم، فاذا رأيت الفقيه الذى بضاعته مجرد الفقه يخوض فى التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك، فان التحدى بالعلوم غريزة فى الطبع لا يصبر عنه الجهال، ولأجله كثر الخلاف بين الناس، ولو يُنكثُ من الايدي مَنْ لا يدري لقل الخلاف بين الخلق.

## فصل

من أشد الناس غلواً واسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين ورغموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التي حررناها فهو كافر، فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً وجعلوا الجنة وقفاً على شردمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانياً، اذ ظهر لهم في عصر رسول الله ﷺ وعصر الصحابة رضيه الله عنهم حكمهم باسلام طوائف من اجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن، ولم يشتغلوا بعلم الدليل، ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد ابدع حدّ الابداع، بل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عبیده عطية وهدية من عنده تارة بيينة من الباطن لا يمكنه التغيير عنها وتارة بسبب رؤيا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره إليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال، فقد جاء اعرابي إلى النبي ﷺ جاحداً به منكرًا فلما وقع بصره على طلعتة البهية، رادها الله شرقاً وكرامة، فرآها يتلأأ منها انوار النبوة قال: والله ما هذا بوجه كذاب، وسأله أن يعرض عليه الاسلام فأسلم، وجاء آخر إليه ﷺ وقال انشدك الله الله بعثك نبياً؟ فقال ﷺ: «إي والله الله بعثنى نبياً» فصدقه بيمينه وأسلم.

وهذا وامثاله اكثر من ان يحصى، ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعليم الادلة، بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء،

ثم لا تزال تزداد اشراقاً بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب .

فليت شعري متى نقل عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضاهم احضار اعرابي اسلم وقوله له : الدليل على ان العالم حادث انه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث ، وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدره زائدة عن الذات ، لا هي هو ولا هي غيره ، إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين .

ولست أقول : لم تجر هذه الالفاظ ولم يجز أيضاً ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يُسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان او على القرب ، وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علّموا الصلاة والزكاة ، وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها .

نعم لست انكر انه يجوز ان يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد اسباب الايمان في حق بعض الناس ، ولكن ليس ذلك بمقصود عليه ، وهو أيضاً نادر ، بل الانفع الكلام الجارى في معرض الوعظ ، كما يشتمل عليه القرآن .

فاما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بان فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى ، لا لكونه حقاً في نفسه ، وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ العناد في قلبه ، ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ، ولا عن

مذهب الشافعي إلى مذهب أبي حنيفة، ولا على العكس، وتجري هذه الانتقالات بأسباب أخرى، حتى في القتال بالسيف، ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات، بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ويشغل بالبحث والسؤال.

وإذا تركنا المداينة ومراقبة الجانب صريحاً بان الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه إلا لأحد شخصين: رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريبٍ وَعَظِيٍّ، ولا بخبر نقلى عن رسول، فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي رافعاً شبهته ودواءً له في مرضه، فيستعمل معه ذلك ويحرس عنه سمعُ الصحيح الذي ليس به ذلك المرض، فانه يوشك أن يحرك في نفسه اشكالا ويثير له شبهة تمرضه وتستزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح.

والثاني شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بانوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً إذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعاً إذا نبغ، وليحرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه، فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات، وتعلم قدر ما يزيل به الشك ويدرأ الشبهة في حق المشكل فرض عين، اذا لم يمكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه.

والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول ﷺ واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته، بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على التزاول بكل شبهة، بل الايمان

الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبى بتواتر السماع، أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن احوال لا يمكن التغيير عنها، وتمام تأكده بلزومه العبادة والذكر، فان من تمادت به العبادة إلى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له أنوار المعرفة وصارت الامور التي كان قد أخذها تقليدًا عنده كالمعينة والمشاهدة، وذلك حقيقة المعرفة التي لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانسراح الصدر بنور الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله ﷺ عن معنى شرح الصدر فقال: «نور يقذف في قلب المؤمن» فقليل: وما علامته؟ قال: «التجافى عن دار الغرور، والانابة إلى دار الخلود».

فبهذا يعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة، ولو أدركها لتجافى عن دار الغرور قطعاً.

## فصل

لعلك تقول: انت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية. والشارع صلوات الله عليه هو الذى ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم اذ قال ﷺ: «يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة: يا آدم ابعث من ذريتك بُعث النار، فيقول: يا رب، من كم؟ فيقول: من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين» وقال ﷺ: «ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقةً الناجيةُ منها واحدة»<sup>(١)</sup>.

الجواب: ان الحديث الأول صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار مخلدون بل انهم يدخلون النار ويُعرضون عليها ويُتركون فيها بقدر معاصيهم، والمعصوم من المعاصى لا يكون فى الالف الا واحداً، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لِأُورِدْهَا﴾ ثم بعثُ النار عبارة عمّن استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا على طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى، وهى اكثر من ان تحصى.

(١) قد مر قوله ﷺ: «ستفترق أمتى بضعا وسبعين فرقة كلهم فى الجنة الا الزنادقة» وهنا قوله ﷺ: «ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة» ولا تنافى بين الحديثين، اذ المقصود من البضع وسبعين فرقة فى الحديث الاول الفرق التى انشعبت من الفرقة الناجية، والمقصود هنا الفرق التى انشعبت من الزنادقة فهما كالمستثنى المتصل من المستثنى، والواحدة الناجية وما انشعب منها هى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأتباعه.

فمنها: ما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: فقدتُ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو في مشربة يصلى، فرأيت على رأسه انواراً ثلاثة، فلما قضى صلاته قال: «مهم، من هذه؟» قلت: أنا عائشة يا رسول الله، قال: «أرأيت الانوار الثلاثة؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «ان آت اتانى من ربي فبشرنى ان الله تعالى يُدخل الجنة من امتى سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، ثم اتانى فى النور الثانى آت من ربي فبشرنى ان الله تعالى يُدخل الجنة من امتى مكان كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، ثم اتانى فى النور الثالث آت من ربي فبشرنى ان الله تعالى يدخل الجنة من امتى مكان كل واحد من السبعين ألفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب» فقلت: يا رسول الله، لا تبلغ امتك هذا، قال: «يكملون لكم من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلى».

فهذا وامثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير. فهذا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة.

وأنا اقول: ان الرحمة تشمل كثيراً من الامم السالفة، وان كان اكثرهم يُعرضون على النار، إما عرضة خفيفة حتى فى لحظة او فى ساعة وإما فى مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار، بل اقول: ان اكثر نصارى الروم والترك فى هذا الزمان تشملهم الرحمة، ان شاء الله تعالى، اعنى الذين هم فى اقاصى الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة، فانهم ثلاثة اصناف: صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم اصلاً، فهم معذرون، وصنف بلغهم اسمه وبعثته وما ظهر عليه من المعجزات، وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون

لهم وهم الكفار الملحدون، وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد ﷺ ولم يبلغهم نعتة وصفته بل سمعوا أيضًا منذ الصبا ان كذابًا ملبسًا اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابًا يقال له المقفع بعثه الله تحدّى بالنبوة كاذبًا، فهؤلاء عندي فى معنى الصنف الأول، فانهم مع انهم لم يسمعو اسمه سمعوا ضدًا أوصافه، وهذا لا يحرك داعية النظر فى الطلب وأما الحديث الآخر: وهو قوله: «الناجية منها واحدة» فالرواية مختلفة فيه، فقد روى الهالكة منها واحدة، ولكن الأشهر تلك الرواية، ومعنى الناجية هى التى لا تعرض على النار ولا تحتاج إلى الشفاعة، بل الذى تتعلق به الزبانية لتجره إلى النار فليس بناج على الاطلاق، وان انتزع بالشفاعة عن مخالبيهم، وفى رواية: «كلهم فى الجنة الا الزنادقة» وهى فرقة، ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكة واحدة وهى التى تخلد فى النار ويكون الهالك عبارة عن من وقع اليأس عن صلاحه، لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير، وتكون الناجية واحدة، وهى التى تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة، لان من نوقش الحساب فقد عذب، فليس بناج إذا، ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج أيضًا على الاطلاق، وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره. وباقى الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين، فمنهم من يعذب بالحساب فقط، ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة، ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم فى عقابهم وبدعتهم، وعلى كثرة معاصيهم وقتلتها. فأما

الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة واحدة وهي التي كذبت وجوّزت الكذب على رسول الله ﷺ بالمصلحة.

وأما من سائر الامم فمن كذبه بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسييح الحصى ونبع الماء بين اصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به اهل الفصاحة وعجزوا عنه، فاذا قرع ذلك سمعه فاعرض عنه وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر إلى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب، وهو الكافر، ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين.

بل اقول من قرع سمعه هذا فلا بد ان تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من اهل الدين، ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه إلى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر امر الدين، وذلك كفر وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضاً كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من اهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد الظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة، فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصّر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو ايضاً مغفور له، ثم له الرحمة الواسعة.

فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية.

واعلم أن الآخرة قريب من الدنيا، ف ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ فكما ان اكثر اهل الدنيا في نعمة وسلامة او في حالة يغطها، اذ لو

خَيْرُ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الْإِمَاتَةِ وَالْإِعْدَامِ مَثَلًا لِاخْتَارِهَا، وَأَمَّا الْمَعَذِبُ الَّذِي يَتَمَنَّى الْمَوْتَ نَادِرٌ، فَكَذَلِكَ الْمَخْلُودُونَ فِي النَّارِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى النَّاجِينَ وَالْمَخْرُجِينَ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ نَادِرٌ، فَإِنَّ صِفَةَ الرَّحْمَةِ لَا تَتَّغَيَّرُ بِإِخْتِلَافِ أَحْوَالِنَا، وَأَمَّا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِبَارَتَانِ عَنِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِكَ، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ ﷺ مَعْنَى حَيْثُ قَالَ: «أَوَّلُ مَا خَطَّ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ».

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَصَائِرِ قَدْ انْكَشَفَ لَهُمْ سَبْقُ الرَّحْمَةِ وَشُمُولُهَا بِأَسْبَابِ وَمُكَاشَفَاتِ سِوَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِخْبَارِ وَالْآثَارِ وَلَكِنْ ذَلِكَ يَطُولُ، فَأَبْشِرْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِالنَّجَاةِ الْمَطْلُوقَةِ إِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبِالْهَلَاكِ الْمَطْلُوقِ إِنْ خَلَوْتَ عَنْهُمَا جَمِيعًا، وَإِنْ كُنْتَ صَاحِبَ يَقِينٍ فِي أَصْلِ التَّصَدِيقِ وَصَاحِبَ خَطَا فِي بَعْضِ التَّأْوِيلِ، أَوْ صَاحِبَ شَكٍّ فِيهِمَا، أَوْ صَاحِبَ خَلْطٍ فِي الْأَعْمَالِ فَلَا تَطْمَعْ فِي النَّجَاةِ الْمَطْلُوقَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ بَيْنَ أَنْ تَعَذِّبَ مَدَّةً ثُمَّ تَخْلَى، وَبَيْنَ أَنْ يَشْفَعَ فِيكَ مَنْ تَيَقَّنْتَ صَدَقَهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، فَاجْتَهِدْ أَنْ يَغْنِيكَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ عَنِ شَفَاعَةِ الشُّفَعَاءِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ مَخْطَرٌ.

## فصل

قد ظن بعض الناس ان مأخذ التكفير من العقل لا من الشرع، وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن، فيقال له: الحكم باباحة الدم والخلود فى النار حكم شرعى لا معنى له قبل ورود الشرع، وان اراد به ان المفهوم من الشارع ان الجاهل بالله هو الكافر فهذا لا يمكن حصره فيه، لان الجاهل بالرسول وبالآخرة أيضاً كافر، ثم ان خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده او وحدانيته، ولم يطرده فى الصفات فربما سوعد عليه وان جعل المخطئ فى الصفات أيضاً جاهلاً أو كافراً لزمه تكفير من نفى صفة البقاء وصفة القدم، ومن نفى الكلام وصفا زائداً على العلم، ومن نفى السمع والبصر زائداً على العلم، ومن نفى جواز الرؤية، ومن اثبت الجهة واثبت ارادة حادثة لا فى ذاته ولا فى محل، وتكفير المخالفين فيه .

وبالجملة يلزم التكفير فى كل مسألة تتعلق بصفات الله تعالى، وذلك حكم لا مستند له، وان خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد لذلك فصلاً ومرداً، ولا وجه له الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب بالرسول وبالمعاد، ويخرج منه المؤول، ثم لا يبعد ان يقع الشك والنظر فى بعض المسائل من جملة التأويل، او التكذيب، حتى يكون التأويل بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد، فقد عرفت ان هذه مسألة اجتهاد.

## فصل

من الناس من قال: انما اكفر من يكفرني من الفرق، ومن لا يكفرني فلا، وهذا لا مأخذ له، فان قال قائل: على رضي الله عنه أولى بالامامة، إذا لم يكن كفراً، فبان يخطئ صاحبه ونظن ان المخالف فيه كافر لا يصير كافراً، وانما هو خطأ في مسألة شرعية، وكذلك الحنبلي اذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط او يظن ان نافي الجهة مكذب وليس بمتأول.

واما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا قذف احد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به احدهما» معناه ان يكفره مع معرفته بما له، فمن عرف من غيره انه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً.

فأما ان كفره لظنه انه كذب الرسول فهذا غلط منه في حال شخص واحد، اذ قد يظن به انه كافر مكذب وليس كذلك، وهذا لا يكفر كافراً. فقد افدناك بهذه الترديدات التنبيه على اعظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي ينبغي ان يتبع فيه فاقنع به.. والسلام.

obeikandi.com

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٩	فصل فى حد الكفر
١٥	فصل فى معرفة حد الكفر
٢٤	فصل فى تكفير الطوائف بعضها البعض
٢٧	فصل فى درجات التأويلات
٣١	فصل فى التصديق والتكذيب
٣٤	قانون التأويل
٣٧	فصل فى مبادرة التأويل بغلبات الظنون
٤٢	فصل فى شرح ما يكفر وما لا يكفر
٤٧	فصل فى أمور تتعلق بالنظر فى التكفير
٥١	فصل فى غلو وإسراف طائفة من المتكلمين
٥٥	فصل فى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن رسول الله ﷺ
٦٠	فصل فى ظن خاطئ
٦١	فصل فى الرد على بعض الاقوال الفاسدة
٦٣	الفهرسة